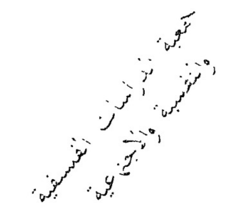
القائمة الاسلامية



الشخصية الاسلامية

الشخصية الإسلامية

الشخصية الإسلامية



مقدمـــــه

الحمد لله الغالب على أمره ، القاهر فوق عباده ، والصلاة والسلام على صاحب الرسالة العالمية ، والهداية الربانية ، سيدنا وقائدنا محمد ، وعلى أهل بيته الطاهرين ، وأصحابه المجاهدين ، والتابعين لهم بأحسان .

لعل أخطر ما استهدفه الأجنبي الكافر ، في برامجه التخريبية ، هو هدم شخصيتنا الاسلامية .. هدماً عقائدياً .. وثقافياً .. وسلوكياً .. وعاطفياً .

ولعل « طبيعة الاستعمار » التي انتابتنا ردحاً من الزمن لم تنشأ الا من جرّاء انهدام الشخصية الاسلامية ، وما أعقب ذلك من غياب الروح الرسالية التي تتدفق بالحركة نحو الكمال ، وتشع بالرشد والهداية .

بل إن « غياب الشخصية الاسلامية » أورث حالة اليأس من إمكانية العمل الجهادي لاستئناف الحياة الاسلامية لدى الكثير من المسلمين وأوشك أن يَفُتَّ في عضد الواعين والعاملين من أجل سيادة الاسلام ، حيث لا يجدون التجاوب المطلوب .. ولا المناخ السياسي المناسب ، ولا المردود الاجتماعي المأمول ، لما يبذلونه من جهد وتضحيات من أجل عزة المسلمين واقامة حكم الله تعالي .

إلّا أن العناية الالهية تداركت هذه الامة ، حين بدأت تدرك مواقع أقدامها .. وتعي مسارها .. وتستشرف مستقبلها :.... فبدأ الطالب الجامعي يصحح مفاهيم استاذه .. والولد ينصح والده أن لا يستسلم للظلام .. والمأموم يرشد إمام جماعته ان لاينام على الظلم .. والمستمع ينذر الخطيب أن لا يتملّق للنظام والسلطة ..

وهكذا اتسع الوعي لدى القواعد الجماهيرية العريضة من الامة ، وتصاعد هذا الوعي ، معانقاً الصحوة القيادية الرائدة لدى العلماء المجاهدين ، فكان هذا الشباب .. المتمرد على كل انحراف عن الاسلام ، الثائر على كل اشكال التضليل الجاهلي : فكراً مستورداً ، أو تنظيمات معادية ، أو دجلا سياسياً ، أو نفاقاً اجتماعياً .

واندفعت جماهيرنا في كل الميادين تصرخ :

لانبتغي غير الاسلام : ديناً ..

ولا نرتضي غير التوحيد : عقيدة ..

ولا نطبق غير الشريعة : منهجاً ..

ولا نرفع غير « لا اله إلا الله محمد رسول الله » : راية ..

و« القائمة الاسلامية » إذ تهدي الى الطلبة بحث « الشخصية الاسلامية » لترجو أن يكون عوناً لمواصلة المسيرة الظافرة ، والنهضة الميمونة ..

والى أمام .. حتى يسود الاسلام .

القائمة الاسلامية

تعريف الشخصية

الشخصية :

هى (الصيغة الموحدة لمجموعة من الخصائص والمقوّمات الانسانية التي يتقوم بها محتوى الذات واتجاهها) .

أوهي : (الصورة التي تظهر بها الذات الأنسانية نتيجة لتفاعل عدة من العوامل والمقومات الذاتية مع العالم الخارجي) .

وبذا تكون الشخصية هى الصورة الظاهرة للذات الانسانية الباطنة .. الصورة التي تكشف عن نفسها ، وتعبّر عن حقيقتها باحتكاكها ، وتفاعلها مع العالم الخارجي ، مع الكون والطبيعة ، والبيئة والحياة .. بما فيها من محُفزات ، ومثيرات ، ودواعي للتفاعل ، وتقرير المواقف ..

والشخصية الانسانية تتحدد هويتها ، وتتضح ماهيتها عن طريق الحقائق الداخلية عند الانسان ، كالفكر ، والمعتقد ، والاتجاهات النفسية .. الخ . فعندما تتفاعل هذه العناصر مع العالم الخارجي ـــ بما فيه من مثيرات ، ومحُفزاتٍ ـــ تتجسَّدُ حقيقة إنسانية ، وترتسم أبعاد الذات البشرية وتبرز من خلالها هوية الفرد الذاتية .

لذا فنحن لانستطيع أن نقول أن هذا الشخصية شخصية إسلامية ملتزمة أو تلك الشخصية شخصية مادية جاهلية ضائعة ، إلا إذا وقفنا علىٰ المقومات الذاتية لهذه الشخصية ، من الأفكار ، والمعتقدات ، والعواطف ... وإلاّ إذا لاحظنا هذه الخصائص الذاتية تتجسد عند التفاعل مع الواقع ، وتصنع سلوكاً معيناً يعبِّر عن هويتها ، ويكشف محتواها .

مثال ذلك إذ شاهدنا ثلاثة أشخاص يلتقون بمثير واحد ، و تحت ظروف موضوعية واحدة ، وهو (المال الحرام) مثلا ، ووجدنا أحدهم يبتعد عنه ، لأنه يؤمن بفكرة الحلال والحرام ، خوفاً من الله تعالىٰ ، واستنكاراً للفعل المحرم ، وآخر يمتنع أيضا عن أخذ المال ولكن خوفاً من انهيار سمعته التجارية ، أو تحرّجاً من الوقوع تحت طائلة القانون ، والثالث يتجاهل كلا الامرين ويقدم علىٰ استلاب المال الحرام ، دونما وازع ، أو مراعاة ...

فاننا نستطيع أن نقرر أن الشخصية الأولىٰ شخصية إسلامية ، والشخصيتين الثانية والثالثة ليستا من الشخصية الاسلامية في شيء ، لأن موقفهما السلوكي كشف عن الدوافع الذاتية المقرر لنوع السلوك .

ونستطيع أن نميز بين الشخصيتين الُاخريين ، ونحدد هوية كل منهما ، بأن نصف الشخصية الثانية بأنها شخصية تتصف بالتعقل ، وإن كانت ضائعة غير ملتزمة ، ونَصِفَ الشخصية الثالثة أنها شخصية متحللة مستهترة .

وهكذا تلعب طبيعة الشخصية دوراً بارزاً في تقرير نوع الحياة ، و نمط السلوك الذي يكون السمة الظاهرة ، والوجه البارز لشخصية الانسان .

ولذلك فان هوية الشخصية ، وطبيعتها الذاتية ، هي التي تصنع الحدود ، والفواصل المميزة لفرد عن فرد ، ومجتمع عن مجتمع آخر .

فلكل مجتمع سمات ، وميزات كلية يصنعها أفراده بشكل يميزه عن غيره من المجتمعات ، والامم الأخرى ..

فالمجتمع الاسلامي مثلًا ، يختلف عن كل من المجتمع الشيوعي ، والمجتمع الرأسمالي ، وهذه المجتمعات تختلف عن المجتمع الذي لا يملك فلسفة حياتية معينة .. وهكذا .

فكل مجتمع يقوم على أساس ما يتسم به من خصائص وميزات تصطبغ بها شخصيات أفراده ، وتنعكس على حياة أعضائه ، فيبدو وحدة إنسانية متميزة عن غيرها من المجتمعات ، والامم الاخرى :

« قُلْ كلٌّ يعملُ علىٰ شاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أعلَمُ بِمَنْ هوَ أهدىٰ سبيلا »
(الاسراء / ٨٤)

« ولكلٍ وِجهةٌ هو مُوَلِّيها فاستَبِقوا الخيراتِ أينَ ما تكونوا يأتِ بكُم اللهُ جميعاً إنَّ الله علىٰ كل شيء قدير »
(البقرة / ١٤٨)

العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية

تشترك في صنع الشخصية الانسانية ، وتكوين عناصرها ، عوامل أساسية ثلاثة ، تختلف في دورها ، وشدة تأثيرها على حياة الانسان ، وتشكيل شخصيته ، وهذه العوامل هي :

١ ــ الوراثة .
٢ ــ البيئة .
٣ ــ التربية .

ومن المفيد هنا أن نتناول كلًا من هذه العوامل بشيء من الايضاح والتركيز :

١ ــ الوراثة :

من حكمة الله سبحانه ، وعدل مشيئته ، أن خلق الناس وهم يحملون فروقاً ، وملكات وإمكانات ، متفاوتة في درجة وجودها ، ومقدار تأثيرها على حياة الانسان وشخصيته، ليحقق في الانسان حكمة الاحساس بالحاجة للآخرين ، والسعي نحو التعاون معهم ، ليسهل تنظيم المجتمع وبناء وحدة إنسانية متكاملة ، بضم القابليات والامكانات الفردية بعضها الى بعض .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة الاجتماعية بقوله : « **أَهُمْ يَقسمونَ رحمَةَ ربكَ نحنُ قَسَمنا بينهمْ معيشتَهم في الحياة الدينا ورفعنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً ورحمةُ ربكَ خيرٌ مما يجمعون** » .

(الزخرف / ٣٢) .

فالتفاوت في الامكانيات والقابليات الجسدية والعقلية والأخلاقية التي عبر عنها القرآن بقوله : « **ورفعنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجات** » له إذنْ دوره الفعال في دفع الأفراد إلى التعاون ، وتكاملِ صيغة الحياة الاجتماعية ، وتبادل المنافع والعطاءات « **ليتخذ بعضُهم بعضاًسُخريّا** » .

وثمة حكمة أخرىٰ ترتبط بتفاوت الامكانات والقابليات الانسانية بين أفراد المجتمع ؛ هي حكمة الامتحان والاختبار الألهي للانسان ، فالله سبحانه ، يختبر الناس ، ويمتحنهم ، بما آتاهم ، من طاقات وملكات عقلية ، وجسدية ، وأخلاقية ، ليرىٰ كيف يصنع الانسان .. وكيف يستخدم هذه الطاقات والملكات ..

قال تعالى موضحاً هذه الحقيقة وكاشفاً عنها :

« **وهوَ الذي جَعَلَكُم خلائِفَ الأرضِ ورفعَ بعضَكم فوقَ بعضٍ درجاتٍ لِيبلوَكُم في ما آتاكم إن ربَّك سريعُ العقاب وإنَّه لغفور رحيم** » .

(الانعام / ١٦٥) .

فالاختبار ، والابتلاء ، وخوض التجربة الانسانية التي تجري علىٰ مسرح الحياة ، كل ذلك يأتي نتيجة لما يملك الانسان من طاقات وقابليات ، تحملها ذاته ، وتتصرف بها إرادته ، كما أشارت الآية الكريمة بصريح قولها :

« **ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم** » .

ومن بالغ حكمته ، وعظيم آياته أيضاً أن جعل هذه الخصائص والصفات الانسانية تنتقل بطريقة وراثية عبر تنظيم وراثي دقيق .. فصفات الآباء ،

وخصائصهم الفكرية والنفسية والجسدية الحسنة منها والسيئة ، تنتقل إلى الأبناء ، وتؤثر في تكوينهم العقلي والنفسي والجسدي ، فتساهم في بناء شخصية الفرد ، وتميز هويته الذاتية .. لذلك جاءت الأحاديث والروايات تؤكد هذا المعنى ، وتدعو لانتخاب العنصر الانساني السليم رجلا كان أو امرأة . نذكر منها ما جاء عن رسول الله (ص) :

(إختاروا لنطفكم ، فان الخال أحد الضجيعين)(١) .

(أنكحوا الأكفّاء ، وأنكحوا فيهم ، واختاروا لنطفكم)(٢) .

وقام رسول الله ــ ص ــ مرة خطيباً فقال :

(أيُّها الناس إيَّاكُمْ وخضراء الدمن)(٣) . قيل : يا رسول الله ، وما خضراء الدمن ؟ قال (ص) :

(المرأة الحسناء في منبت السوء)(٤) .

وهكذا تؤكد هذه الاضمامة من الاحاديث النبوية أهمية الخصائص الوراثية ، ودورها في تكوين شخصية الفرد ، وتحديد خصائصه الذاتية .

كما جاءت الأبحاث والدراسات العلمية فيما بعد فكشفت عن هذه الحقيقة وصاغتها بشكل قوانين ودراسات علمية إعتمدها العلماء في مجالات مختلفة من الحياة الانسانية .

---

(١) ، (٢) ، ــ الكليني : الكافي/ج ٥/ ص ٣٣٢ ــ ط ٣ .

(٣) خضراء الدمن : شبَّه رسول الله المرأة الحسناء ؛ السيئة الخلق ؛ بالنبات الجميل المترعرع الذي يُنبت على براز الحيوانات .

(٤) ــ الكليني / المصدر السابق .

فصفات الآباء ، كالذكاء ، والشجاعة ، والكرم ، أو الصفات الجسدية ، أو الاستعدادات الفنية والأدبية ، واعتدال الميول الغريزية والنفسية ، أو انحرافها وتسافلها ، تنتقل من جيل الآباء الى الأبناء ، وتؤثر بشكل قوي على حياة الانسان وسلوكه ، ومع ذلك فالانسان يستطيع بواسطة العقل والارادة أن يعيد تنظيم شخصيته ، وتنقيح بنيتها .. إلا أن هذا التنقيح والتنظيم يكلف الانسان مشقة ، وعناء ورياضة نفسية ليست بالهينة . وهنا يبرز دور الاختبار والابتلاء الالهي .

وكم كان دقيقاً تشخيص الامام جعفر بن محمد الصادق ــ ع ــ لهذه الحقيقة حين قال : (**الخلق خلقان ، أحدهما نية** (٥) **، والآخر سجية** (٦) **، قيل : فأيهما أفضل ؟ قال ــ ع ــ : النية ، لأن صاحب السجية مجبول على أمر لا يستطيع غيره ، وصاحب النية يتصبر على الطاعة تصبرا فهذا أفضل**) (٧) .

وهكذا نستنتج المبادىء الأساسية الآتية :

١ ــ إن الصفات الوراثية تؤثر في تكوين الشخصية .

٢ ــ إن هناك فروقاً فردية بين الأفراد .

٣ ــ إن الانسان يستطيع أن يتغلب تغلباً إرادياً وعقلياً على القابليات والملكات الموروثة ويتصرف بها .

---

(٥) ــ نية : يعني قصد وارادة .

(٦) ــ سجية : يعني فطرة وطبيعة .

(٧) ــ الحراني : تحف العقول عن آل الرسول/ص٢٧٥ .

٢ ــ عامل التربية :

تساهم التربية مساهمةً فعالةً في تخطيط ، وتشكيل ، وصنع شخصية الفرد ، وتحديد صيغتها ، فشخصية الفرد ــ في غالب الأحيان ــ هي نتاج صنع المربي وصورة جهوده .

فالاستعدادات والقابليات الانسانية تولد وهي طاقة حرّة غير متكيفة ، ولا متشكلة ، فتتناولها يد المربي ــ أباً كان أو أماً أو معلماً ــ فتتصرف بها وتعمل علىٰ تشكيلها ، وتخطيط بنيتها ، وفق قيم وأهداف تربوية محددة ، لذلك نشاهد الدول والأحزاب والمنظمات تحرص علىٰ توجيه وتربية الأفراد والجماعات ، تربية خاصة ووفق منهج خاص .

ولقد جاءت رسالات الأنبياء ومناهج الرسل ــ ع ــ كلها لتربية البشرية ، ورسم منهاج الاعداد والبناء الذاتي لشخصية الانسان .

وقد أوصىٰ الاسلام بتربية الفرد ، والعناية به ، وخصوصاً في مرحلة الطفولة ، فهي مرحلة تشكيل الذات وبناء الشخصية .

لذلك جاء تأكيد القرآن صريحاً للعناية بتربية النفس والأهل والأبناء بقوله :

« يا أيُّها الذينَ آمنو قُوا أنفسَكُمْ وأهليكُمْ ناراً وَقُودُها الناسُ والحجارةُ عليها ملائكةٌ غلاظ شدادٌ لا يعصونَ الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون » .

(التحريم/ ٦) .

وتترجم السنة النبوية هذا المحتوىٰ القرآني ، وتؤكد أن التربية الصالحة حق للولد

على والده ، فقد رُوي عن الامام علي بن موسى الرضا (ع) أنه قال : جاء رجل إلى النبي — ص — فقال : (**يارسول الله ماحق إبني هذا ؟** قال (ص) : **تحسن إسمه وأدبه ، وضعه موضعاً حسناً**) .[٨]

ولقد كان رسول الله (ص) يوصي بحب الصبيان وتقبيلهم ومداعبتهم ، وكان هو نفسه يقبل إبنته فاطمة (ع) ، وابنيها الحسن والحسين (ع) ، ويداعبهم ليملأ نفس الصبي بالحب والحنان ، ويبعد عنها عقدة الكراهية والقسوة والنفور فيشب الصبي سليم النفس ، سوي السلوك ، نظيف القلب .

لذلك نجده يوصي بتربية الأبناء تربية حسنة ، ويؤكد دعوته للآباء ، لحب أبنائهم ، وحسن معاملتهم ، ويربط بين أثر التربية ومعاملة الأبوين في مرحلة الطفولة — على سلوك الطفل — وعلاقته بأبويه في مرحلة الإكتمال والبلوغ وقد جاء هذا التوجيه النبوي الرشيد صريحاً بقوله — ص — :

(**رحم الله والدين أعانا ولدهما على برهما**)[٩] . وبقوله : (**أحبوا الصبيان وارحموهم ، وإذا وعدتموهم شيئاً ففوا لهم ، فانهم لا يدرون إلا أنكم ترزقونهم**)[١٠] .

ويؤكد الرسول الكريم (ص) في حديث آخر أهمية التربية ودورها في تكييف الملكات والاستعدادات الفطرية وأثرها في بناء وتوجيه الشخصية بقوله :

(**كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه ، يُهوِّدانه ، أو يُنصِّرانه ، أو يُمجِّسانه**) .

---

(٨) — الكليني / الكافي / ج ٦ / ص ٤٨ .
(٩) — المصدر السابق / ص ٤٩ .
(١٠) — المصدر السابق / ص ٤٩ .

وفي وصية الامام علي (ع) لابنه الحسن (ع) نشاهد هذا المفهوم واضحاً متجسداً وهو يخاطب ابنه بقوله :

(.. وإنما قلب الحدث كالأرض الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته ، فبادَرْتُك بالأدب قبل أن يقسو قلبك ويشتغل لبك)[11] .

فنفس الطفل وعقله واستعداداته إذن قابلة للنمو والتوجيه الذي تتلقاه ، خيراً كان أو شراً ، كما تتقبل الأرض البذرة ، فتنمو في رحابها ، بغض النظر عن خبثها أو طيبتها ، لذا كانت التربية ذات أهمية بالغة في بناء الشخصية الإنسانية ، وتكوين إتجاهها .

٣ ـــ عامل البيئة :

أما العامل الثالث من العوامل المؤثرة في بناء ، وتكوين الشخصية ، فهي البيئة ، أو المحيط الاجتماعي ، بما فيه من أعراف ، وعقائد وقيم أخلاقية ، ونظام ، وأسلوب حياة .. وسواء كانت هذه البيئة عائلية ، أو مدرسية ، أو اجتماعية .. فالانسان كائن عاقل يحس ، ويتعلم ، ويستوحي المفاهيم والافكار من الآخرين .. وهو جزء من المجتمع ، يتفاعل معه ويتأثر به ، ويتعلم منه ـــ خصوصاً بعد تطور وسائل نقل المعرفة ، وخضوعها ، للتخطيط والتوجيه المقصود ، كالصحف ، والمجلات ، والاذاعات ، والتلفزة ، وغيرها .

فالانسان يتعلم من محيطه الاجتماعي ، ومن أصدقائه الذين يحتك بهم ، ومن الجيل الاجتماعي الذي يعايشه ، ولذلك نجد الرسول الكريم (ص) يؤكد الدعوة إلى الابتعاد عن أصدقاء السوء ، ومخالطة الأشرار ، بقوله :

---

(١١) ـــ نهج البلاغة : شرح الشيخ محمد عبده / ج ٣/ ص ٤٠ .

(مثل الجليس الصالح ، وجليس السوء ، كحامل المسك ونافخ الكير ، فحامل المسك إما أن يَحذوك ، وإما أن تبتاع منه ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه رائحة كريهة) .

ولذلك نجد القرآن يعلنها حرباً شعواء علىٰ التبعية والخضوع لمؤثرات البيئة المنحرفة ، ويؤكد الدعوة إلىٰ البراءة والانفصال عن ميراث الأمم والقرون الجاهلية :

« وكذلكَ ما أرسلنا منْ قبلكَ في قرية من نذير إلا قالَ مُترفوها إنّا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارهم مُقتدُون قالَ أولو جئتكُمْ بأهدى مِمّا وجدتُمْ عليه آباءكم قالوا إنّا بما أرْسِلتم بِه كافرونَ » .

(الزخرف/ ٢٣ ـــ ٢٤) .

« واذا قيلَ لهم إتّبعوا ما أنزل الله قالوا بلْ نَتّبعُ ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيّطانُ يدعوهم إلىٰ عذابِ السعير » .

(لقمان/ ٢١) .

وهكذا يعرض لنا القرآن نموذجاً من تأثير البيئة الاجتماعية وميراث القرون علىٰ شخصية الانسان وحياته ،ليوحي لنا بضرورة صنع بيئة اجتماعية نظيفة تتناسب مع الفطرة الانسانية النقية ، وتساعد على تنمية الفطرة ، وتحافظ علىٰ نموها الطبيعي ، كما خلقها بارئها لتشكل الشخصية الانسانية السليمة من انحرافات المجتمع ، وآثار التعقيد والانحراف الفكري والنفسي ، الذي يحويه وعاء البيئة فتترسب في وعي الانسان ، وإحساسه الباطني ، وتنطوي في أعماقه .

مقومات الشخصية الاسلامية

للشخصية كما اتضح لنا قبل قليل عناصر أساسية ، ومقومات رئيسية تتقوم بها ، بحيث تقرر هذه العناصر ، والمقومات طبيعة الشخصية ، وتحدد هويتها ، وآثارها السلوكية ، والتعاملية في خارج الذات الانسانية .

والذي يهمنا هنا هو دراسة الشخصية الاسلامية ، وتحديد معالمها الرئيسية ، وتبيان مقوماتها ، وعناصرها الأساسية التي تصنعها ، وتحدد ماهيتها ، وكيانها ، وتصبغ كل نشاطاتها ، ومواقفها .

وللشخصية الاسلامية أسس ، وقواعد يشاد عليها وجودها ، وتُبتنىٰ عليها كل مظاهر تحققها وتجسدها ، بحيث تتميز عن غيرها من الشخصيات بما يلي :

١ ــ بالتكوين الذاتي .
٢ ــ بالدوافع والمحفزات .
٣ ــ بالاختيار وتقرير المواقف .
٤ ــ بنوعية السلوك ومقياس العمل .

وصدق الله القائل « **صبغةَ الله ومنْ أحسنُ مِنَ الله صبغةً ونحنُ لهُ عابِدُون** » .

(البقرة / ١٣٨) .

فالشخصية الإسلامية هي الشخصية المصبوغة بصبغة خاصة ، والموسومة بميسم معين ... هو ميسم الإيمان ، وصبغة الإسلام ، والإلتزام بحدوده .

وهذه الشخصية الاسلامية الملتزمة تتقوم بمقومات رئيسية يتكون منها وجودها ، وتكتمل بتفاعلها ، وتوازن حركتها ، الصبغة الانسانية الواضحة للشخصية الاسلامية .

وهذه العناصر والمقومات هي :

١ ــ الفكر الايماني .
٢ ــ العاطفة الايمانية .
٣ ــ الارادة الملتزمة .
٤ ــ المقياس الايماني للسلوك .

فتلك الركائز الأساسية الأربع القائمة علىٰ أساس الايمان بالله والارتباط به ، وهي العناصر التي تتقوم بها الشخصية الاسلامية ، وتتميز بواسطتها عن الشخصيات الأخرى .. وهي بدورها تتفاعل مع بعضها لتكون المخطط الهادف ، والحارس اليقظ لتحديد الموقف السلوكي ، حينما تتفاعل الدوافع ، والمحفزات ، والغرائز ، الواقفة خلف الشخصية ، وعندما تحتك بمثيراتها ، ومنبهاتها ، ومواضع توجهها في المحيط والبيئة الانسانية التي تواجهها الشخصية في الخارج ، فيكون موقع الشخصية علىٰ هذا الاعتبار هو موقع القائد ، والمسيطر الذي يوجه حركة الذات بكل ما فيها من نوازع ، واتجاهات وغرائز الوجهة التي تختارها الشخصية ، وترغب في الظهور بها في العالم الخارجي حسب طبيعتها ، وماهيتها .

وتتخذ الأفكار مركز التوجيه ، وتحديد الهوية لبقية العناصر (العاطفة ، والارادة ، والمقياس السلوكي) .

فان كانت طبيعة الأفكار طبيعة إيمانية تقوم علىٰ أساس الايمان بالله ، انسحبت هذه الأفكار بصبغتها الايمانية علىٰ عناصر الشخصية ، وحددت كل

مساراتها ، واتجاهاتها ، وانطبعت هذه الصبغة الشخصية على السلوك والمواقف .

وأما إن كانت عناصر الشخصية غير إسلامية تقوم على مفهوم الشرك ، والالحاد ، أو العلمانية والانفصالية التي تباعد بين الايمان والحياة ، فان هذه الشخصية ستكون شخصية جاهلية تصطبغ كافة عناصرها من : (عاطفة ، وإرادة ، ومقياس سلوكي) بهذه الصبغة الجاهلية التي تميزها عن الشخصية الاسلامية بدرجة تظهر فيها آثار الشخصية واضحة متجسدة ، في السلوك ، والتعامل ، بحيث نشاهد الفرق واضحاً ، متميزاً بين الشخصية الاسلامية ، وبين تلك الشخصية الجاهلية .. سواءً في العناصر الأساسية (الفكر ، والعاطفة ، والارادة ، والمقياس العملي للسلوك) ، أو في المظهر الخارجي للشخصية — الذي يرسمه ، ويعبر عنه السلوك والتعامل الانساني — .

ومن المفيد هنا أن نعود إلى عناصر الشخصية الاسلامية فنتناولها بشيء من الدراسة والتوضيح ، لتكتمل فكرة الشخصية والعلاقة بين عناصرها الداخلية ، وتتوضّح الرابطة بين هذه العناصر ، وبين السلوك الخارجي للانسان فنعرضها كالآتي :

١ — الفكر الإيماني :

يحتل الفكر موقع القاعدة ، والمصدر الذي تتفرع عنه ، وتنمو عليه كل عناصر الشخصية الأخرى .

لذلك فإن الأفكار تشكل الهيكل الرئيسي في بناء الشخصية ، والمحور الأساسي الذي تدور عليه ، وتتجه معه كل المقومات الأخرى .

ويتميز الفكر الذي تتقوم به الشخصية الاسلامية عن غيره من الأفكار

المقومة للشخصيات المتعددة الأُخرىٰ بعناصره الأساسية الثلاثة :

أ ــ طريقة التفكير (منهج التفكير) .
ب ــ العقيدة .
جـ ــ الثقافة .

أ ــ طريقة التفكير : إن طريقة التفكير هي المنهج ، أو الأُسلوب الذي يمارس الفكر نشاطاته ، وجهوده وفق خطته .. فان كان المنهج ، أو طريقة التفكير مادية تقوم علىٰ أساس الحس والتجربة فقط ، كان التفكير مادياً تجريبياً لا يستطيع أن يوصل إلى اكتشاف الايمان ، واستنتاج فلسفة للقيم الخلقية ، والروحية في الحياة .. لأن تلك الحقائق ليست من الامور التي تستطيع التجارب ، والمختبرات أن تكتشفها ، أو تتوصل إليها ، لذلك فان المنهج الذي يحصر نفسه بحدود التجارب المادية ــ في الفهم ، وتحصيل المعارف واعتناق العقائد ــ يتناقض بصورة أساسية مع المنهج الإسلامي الذي يقوم علىٰ أساس الإيمان بالتفكير العقلي المجرد كأسلوب علمي للبحث عن الإيمان ، وكمنهج رائد في طريق المعرفة الإلهٰية .

إلا أن التفكير الاسلامي مع إيمانه بهذا المنهج ، واعتماده عليه ، لا يغفل أهمية استخدام التجربة ، ولا يهمل الطريقة التجريبية في تحصيل المعارف ، وانتزاع المفاهيم التي تغني الفكر بالمعلومات والمقدمات الموصلة إلىٰ الايمان والتصديق برسالة الانبياء .

فالطريقة العقلية في التفكير هى وحدها تستطيع أن تدرك وجود القيم الروحية والأخلاقية ، وهي وحدها تستطيع أن توصل الفكر إلىٰ الايمان بالله ، وتعمل علىٰ تحرير الانسان من سيطرة الحياة المادية .. بحيث تصبح المكاسب المادية ..

من مال وثروة ، وجاه ، ومتع ، ولذات .. أشياء ثانوية في الحياة لا ترتبط بها الشخصية الاسلامية إلا بقدر ما تحتاج إليها في تدبير شؤون الحياة ، ووفق طريقة شريفة نظيفة موصلة إلى الغايات الروحية السامية .

وهكذا يساهم منهج التفكير في بناء الشخصية ، وإقامة أهم دعائمها ، وبدون هذا المنهج يصاب الفكر الايماني ، ومكتسباته الفكرية بفوضى وضياع يؤدي إلىٰ ذوبان الشخصية وازدواجها .

ب ــ **العقيدة** : تساهم العقيدة مساهمة فعالة في بناء الشخصية ، لانها تشكل النظرة التفسيرية للحياة والوجود ، وللعالم الخارجي من حول الانسان فتسلك كأساس لتصور الانسان للمواقف ، والسلوك ، والعلاقات ، وكمنطلق للتقويم ، وإصدار الأحكام علىٰ الأشياء ، وفهمها .

وليس في عالم المعتقدات ، عقيدة كعقيدة التوحيد ــ الايمان بالله ــ من حيث سعتها ، وشمولها ، وانطباقها علىٰ كل موقف ، و سلوك إنساني .. حتىٰ لتسلك هذه العقيدة « الايمان بالله ، وما يتفرع عنه » كرائد يخطط للانسان طريق السير ، وقائد يتقدم المسيرة ، ومحور تدور عليه كل نشاطات الانسان .

فالانسان المسلم يُقيم كل أعماله ، وتصرفاته ، ومواقفه ، و علاقاته علىٰ أساس الايمان بالله ، والاستجابة لامره ، وحب التقرب منه والتعبد له .. وعلىٰ أساس أن عالم الدنيا هو عالم التراب الفاني ، وأن الخلد ، والنعيم ، والسعادة الأبدية ، متحققة في عالم الآخرة ، وبهذا الطابع الايماني تنطبع كل نشاطات الانسان المسلم ، فيكون هذا الطابع هو العامل المميز لشخصيته ، والعلامة البارزة لمجتمعه وحياته .

جـ ـــ **الثقافة** : وتشكل الثقافة الركن الثالث في بناء الجانب الفكري من الشخصية .

والثقافة ليست هى مجموعة المعارف التي يكتسبها الانسان ويحتفظ بها بطريقة معزولة عن الحياة ، بعيدة عن الممارسة ، وإنما الثقافة (هى المعرفة التي تؤثر في اتجاه السلوك ، وتوجه حياة الانسان) .

والانسان المثقف ، هو الانسان : « **المهذَّب ، أي الانسان الذي شذبت ، وهذبت المعارف التي اكتسبها كل سلوكه ، وخلصته من الشوائب ، والانحرافات** » .

لذلك نسمي الانسان الذي يحمل الافكار والمعلومات ، وهو شاذ منحرف في أفكاره وسلوكه : إنساناً متعلماً ، وليس مثقفاً .. فالمثقف هو : الانسان الذي يحمل الفكر السليم ، ويسلك علىٰ أساسه السلوك السوي .

وعلى هذا الاعتبار يكون الانسان المثقف ـــ هو الانسان السوي السلوك ، والمستقيم الاتجاه ، وليس هو الانسان الذي يكتنز مجموعة من المعارف ، والمعلومات دون أن تغير سلوكه ، أو تؤثر في حياته ، ودون أن تتسامىٰ بها نحو الكمال البشري الأعلىٰ .. وبذا يكون للثقافة أثر بالغ الأهمية علىٰ الشخصية ، وعلى اتجاهها في الحياة .

وترتبط الثقافة الاسلامية إرتباطاً وثيقاً بالعقيدة ، ومنهج التفكير ، فالثقافة هى وليدة العقيدة ، والمنهج ، ونتاج التحصيل العلمي الملتزم بهذين المحورين .

لذلك نقول هذه ثقافة إسلامية ، وتلك ثقافة مادية غربية ، أو مادية شيوعية ، أو ثقافة يونانية .. الخ .

ويأتي هذا الاختلاف في نوع الثقافة من اختلاف العقيدة والمنهج اللذين يحددان طبيعة الثقافة وقيمتها العملية في الحياة .

والثقافة من وجهة النظر الاسلامية ، هى المعرفة التي تساعد الانسان على فهم الحياة وكيفية العيش فيها ، وبذا تكون الثقافة جوهر الحضارة ومادة بنائها .

٢ ـــ العاطفة الإيمانية :

والركن الثاني من أركان الشخصية الاسلامية هو العاطفة . والعاطفة هى الرابطة ، أو العلاقة النفسية بين الإنسان من جهة ، وبين الله والناس ، والأشياء التي تحيط بالإنسان من جهة أخرىٰ .

فهذا الاتجاه النفسي ـــ اتجاه الحب والكراهية ـــ هو الذي يحدد الموقف النفسي للانسان نحو نفسه وغيره .. وهو الذي يُكَوِّنُ نوع الرابطة أو (العاطفة) .

وتتميز العواطف الاسلامية بأنها عواطف إنسانية نبيلة ، تتسم بالنقاء والسلامة من الانحراف ، والميل العدواني ، وتنبثق عن فكرة الايمان بالله وتوحيده .

فالمسلم يرتبط بعاطفة الحب مع الله ، والناس ، والعالم من حوله ، على أساس واضح ، وحسب مقياس ثابت .

فهو يحب الله ، ويبني علىٰ أساس هذا الحب كل عواطفه ، و ميوله النفسية من الحب والكراهية ، فيحب الخير والجمال ، ويحب الناس والأشياء التي يرتبط بها ، وتتفاعل أحاسيسه ، ومشاعره معها ، .. ويكره الظلم ، ويعطف على المظلوم .. ويشارك باحساسه الوجداني الانسان المتعرض للالم .. ويشاطر الآخرين الفرح ، والسرور ، فيتألم إذا رأىٰ فقيراً جائعا ، أو مريضاً يتضور ألماً أو انساناً ألحّتْ عليه المحنة ، أو متسافلا يمارس رذيلة .

ويُسَرّ إذا رأىٰ السرور يملأ قلوب الآخرين .. ويفرح إذا رأىٰ غيره يعمل الخير ، ويتمتع بالنعم .. ويمتلىء قلبه سروراً إذا شاهد شيئاً جميلًا .. ويعطف علىٰ الحيوان ، ويشمله برعايته إذا تعامل معه .. لأن في كل هذه المواقف حباً لما يحب الله ، وكرهاً لما يكره ...

فالمسلم الملتزم يتعامل مع كل شيء يشاهده ، أو يحسه بعاطفة إسلامية تقوم علىٰ أساس العلاقة بالله .. فهو يحب ، ويكره لله .. ، و يقترب من الاخرين ويبتعد عنهم على أساس علاقتهم بالله .

لذلك فان العاطفة الاسلامية تتميز بأنها عاطفة إنسانية نبيلة ، تقوم علىٰ أساس من إرشاد العقل ، واتجاه المعتقد ، واستقامة الخط ، واتزان الانفعال .

فالمسلم يحب في الله ، ويبغض في الله ، خصب العاطفة ، يقظ الوجدان ، سليم الاتجاه ، متزن الانفعال .

وقد أوضحَ القرآن الكريم طريق العاطفة ، ورسم لها مسارالتعبير عن شحناتها النفسية الخيرة ، فقال تعالى :

« وَمِنَ الناسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دونِ الله أنداداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ الله ، والذينَ آمَنُوا أشَدُّ حُباً لله ، وَلَوْ يَرَى الذينَ ظَلَمُوا إذْ يرونَ العذابَ أنّ القُوَّةَ للهِ جميعاً ، وأنّ الله شَديدُ العَذَاب » .

(البقرة / ١٦٥)

« واعلموا أنّ فيكُمْ رسولَ الله لَو يُطيعكمْ في كَثيرٍ مِنَ الأمرِ لَعَنِتُّمْ ولكنَّ الله حَبَّبَ إليكُمُ الإيمانَ وَزَيَّنَهُ في قلوبِكُمْ وكرَّه إليكُمُ الكفرَ والفُسُوقَ والعِصيانَ أولئك هُمُ الرَّاشِدُون » .

(الحجرات / ٧)

فهاتان الآيتان الكريمتان رسمتا طريق العاطفة الاسلامية وأكدتا للمسلم أنّ حبه حبٌ للهِ ، وهو حب صادق شديد الاخلاص ، يدله علىٰ حب الخير ، واستحسانه ، وكراهية الشر والفساد وأهله ، وأن هذا الحب والكره لا يقوم على أساس ميل انفعالي تافه ، ولا يصدر عن شطط نفسي عائم ، بل يتحدد وفق خطٍ واضح ، ويلتزم بمقياس دقيق وصفه الإمام علي (ع) بقوله : (**لا يحيف علىٰ من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب**) .

فهو يحب كل ما أحبه الله ، ويبغض كل ما أبغضه الله ، من غير أن يخضع هذا الحب ، والكره لانفعالاته النفسية ، أو لاندفاعاته التي لا تستطيع التمييز بين الخير ، والشر في حالات طغيان الانانية ، أو سيطرة الرضىٰ ، والغضب ، أو رجحان الربح والخسارة الذاتية الضيقة ، أو الحسابات الآنية العاجلة .

ومن أجل الحفاظ على هذا الاتجاه العاطفي المتزن ازداد تأكيد القرآن على هذه النقطة الحساسة في العواطف ، واهتم بالتنبيه عليها :

قال تعالىٰ : « كُتِبَ عليكُمُ القتالُ ، وهو كُره لَكُمْ ، وَعسىٰ أن تكرهُوا شيئاً وهو خيرٌ لَكُمْ ، وعسىٰ أنْ تُحبُّوا شيئاً وهَو شرٌ لَكُمْ ، واللهُ يَعلمُ وأنتُمْ لا تعلمُونَ » .

فهذه الآيات الكريمة تعطي التحليل الأعمق لاتجاه النفس الانسانية ، وتشير الىٰ أن هذا الاتجاه قد يقع في تخبط وضياع عاطفي غير محسوب ، فيحب الانسان ما هو شر له ، ويكره ما هو خير له ، بسبب جهله ، أو طغيان دوافعه وانفعالاته علىٰ وعيه ، وبسبب غياب تقويمه الدقيق ، وتواري مقاسه العقلي السليم .

لذا فان القرآن ربط عواطف الانسان المسلم بمؤشر عقائدي ، وبقيادة عقلية

واعية ، ليسير بعواطفه على خط العقيدة الواضح ، ويسقيها وينميها بحرارة الايمان ، وحب الله ، فتغدو حيَّةً ، واعيةً ، متدفقة .

وقد جاءت الاحاديث النبوية الشريفة شارحة لهذا المعنى ومعمقة لمضمونه ، ليكون حقيقة حية تعيش في نفس الانسان المسلم ، وتتأصل في وجدانه .

فقد رُوي عن الرسول الاعظم (ص) قوله : **(وِدُّ المؤمن للمؤمن في الله أعظم شعب الايمان ، ألا وَمَنْ أحب في الله وأبغض في الله ، وأعطى في الله ، ومنع في الله ، فهو من أصفياء الله .)**[١٢] .

ورُوي عن الامام محمد الباقر ــ ع ــ أنه قال : **(اذا أردت أنْ تعلم أنَّ فيك خيراً فانظر إلىٰ قلبك ، فان كانَ يحبُّ أهل طاعة الله ، ويبغض أهل معصيته ، ففيك خير ، والله يحبك ، وإن كان يبغض أهل طاعة الله ، ويحب أهل معصيته ، فليس فيك خير ، والله يبغضك ، والمرء مع من يحب)**[١٣] .

٣ ــ الارادة الملتزمة :

أما الركن الثالث من أركان الشخصية الاسلامية فهو (الارادة) ، الارادة القوية القادرة على الاختيار ، والمتمكنة من القبول والرفض ،وفق مقاييس وأحكام واضحة نيرة .

وبالارادة يسيطر المسلم الملتزم علىٰ كل أطراف شخصيته ، ويقودها وفق منهج حياتي ملتزم .

---

(١٢) ــ النراقي / جامع السعادات/جـ ٣/ ص ١٨٢/ ط ــ ٤
(١٣) ــ المصدر السابق جـ ٣/ ص ١٨٣ .

فبالارادة يستطيع أنْ يمتنع عن فعل الحرام ، وبالارادة يستطيع أنْ يصبر على المِحَن ، ويتحمل الشدائد ، وعظائم الامور .. وبالارادة القوية يستطيع أنْ يتحمل مسؤوليته في الحياة ، ويؤدي واجبه مهما يكن شاقاً وثقيلا .

بعكس الشخصية فاقدة الارادة ، فانها شخصية هلامية ، مائعة ، قلقة ، متأرجحة ، لانها لا تملك قوة الارادة ولا وحدة الهدف .

وما أروع وصف الامام علي (ع) لقوة إرادة المؤمن وشدة عزيمته حين قال : (**في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور**) .

وما أجمل وصف الامام جعفر بن محمد الصادق ــ ع ــ للحالة الارادية التي تلازم الشخصية الايمانية ، وتميزها حين قال : (**المؤمن أصلبُ من الجبل ، إذ الجبل يُستَفلُّ منه ، والمؤمن لا يستفلُّ من دينه**) .

٤ ــ المقياس الايماني للسلوك :

والعنصر الرابع من عناصر بناء الشخصية هو المقياس العملي للسلوك .

فالشخصية الاسلامية تملك مقياساً واضحاً للسلوك ، وهو « **مرضاة الله سبحانه** » فقد ورد عن رسول الله قوله : (**إذا هممت بأمرٍ فتدبَّرْ عاقبته ، فإن يك رشداً فامضه ، وإن يك غياً فانته**) .[١٤]

فالمسلم الملتزم لا يسلك سلوكاً عشوائياً غير موزون ، بل يضع كل فعل وموقف في ميزان الأعمال قبل أن يقدم عليه ، فان وجده عملًا متطابقاً مع

---

(١٤) ــ النراقي : جامع السعادات/جـ ٣/ ص ٩٥ .

مرضاة اللهِ متسقاً مع منهج الحق والخير ، أجازَ لنفسه الاقدام عليه ، والشروع بتنفيذه ، أما إن وجده شاذاً ، متعارضاً مع هذه المقاييس ، بعيداً عن رضىٰ الله ، غير متطابق مع مباديء الخير ، عمد إلىٰ إلغائه ، وأعلن رفضه ، والانسحاب منه ، وهذا المقياس الايماني الدقيق هو مقياس يستهدف حب الخير من أجل أنه خير وصنع المعروف حباً بالمعروف ، تقرباً من الله ، وبحثاً عن رضاه ، بعيداً عن الأنانية والنفعية المادية .

ميزات الشخصية الاسلامية

إن المباديء الاسلامية بمفاهيمها الأساسية ومناهجها التربوية ، تصنع شخصية متميزة ، لها سماتها ، وتوجهاتها ، وغاياتها الخاصة ، التي تميزها بوضوح تام عن غيرها من الشخصيات الأخرىٰ . وبمقارنة الشخصية الإسلامية بغيرها من الشخصيات نستطيع أن نكتشف في هذه الشخصيات الميزات التالية :

١ ـــ الاتجاه العقلي .
٢ ـــ الايجابية .
٣ ـــ الالتزام .
٤ ـــ التوجه المستمر نحو الكمال .
٥ ـــ الاتزان .٠
٦ ـــ الاحساس الانساني « يقظة الضمير ، والحس الوجداني » .
٧ ـــ النزوع القيادي .

١ ــ الاتجاه العقلي :

تتميز الشخصية الاسلامية بأنها شخصية عقلية ، أي يسيطر العقل فيها على كل تصرفات الفرد ، وبواعثه ، ودوافعه ، وعواطفه ، وغرائزه ، وطريقة تفكيره .. فللعقل مقام القيادة والتوجيه في الشخصية الإسلامية إذ يظهر أثره واضحاً في مجال السلوك والعلوم والمعارف .. الخ . فسلوك المسلم لا يخضع للإندفاع الغريزي التائه ، ولا للميل الأناني والهوى الشخصي الذي تضيع فيه قيم الحق والعدل ، وتتلاشى أمامه قواعد الأخلاق .. بل يتمحور السلوك عنده ــ على امتداد أبعاده ، واختلاف مظاهره ــ حول مركز العقل ، ويتحرك على ضوء إشارته وهدى صوته .

فقد ورد في الحديث الشريف : (**لما خلق اللهُ العقل استنطقه ، ثم قال له : أقبلْ فاقبل ، ثم قال له : أدبر فأدبر ، ثم قال : وعزتي وجلالي ، ما خلقت خلقاً هو أحبُّ اليَّ منك ، ولا أكملته إلا فيمن أُحب ، أما إني ، إيّاك آمر ، وإيَّاك أنهى ، وإيَّاك أُعاقب ، وايَّاك أُثيب**)[١٥] .

وكما يظهر دور العقل واضحاً في مجال السلوك والمواقف الانسانية ، يتجلى دوره كذلك واضحاً في مجال العلوم والمعارف ، ومناهج البحث والتحصيل العلمي في حياة المسلمين .

فنظرة الانسان المسلم إلى الاشياء ، وفهمه وتفسيره لها ، ليس فهماً مادياً صرفاً ، ولا تفسيراً حسياً متحجراً ، بل يجري هذا الفهم ، والتفسير بطريقة واعية ، تتجاوز حدود الحس والتجربة ، وتوسع آفاق المعرفة والثقافة .

---

(١٥) ــ الكليني : أصول الكافي/جـ ١/ ص ١٠ .

٢ ـــ الايجابية :

المسلم الملتزم إنسانٌ إيجابي يعيشْ في حركة فكرية ونفسية وجسدية بَنَّاءة ، بعيداً عن السلوك التخريبي الهدام ، رافضاً للتحجر والجمود ، لا يرضىٰ بالسلوك الانسحابي الذي يتهرب من نشاطات الحياة ويبتعد عن مواجهة الصعاب ، لان الاسلام يبني في الانسان المسلم الروح الايجابية التي تؤهله للعطاء ، وتنمي فيه القدرة علىٰ الانتاج والابداع ، بما يفتح له من آفاق التفكير والممارسة ، وبما يزوده به من بناء ذاتي ، ودافع حركي ، ليعدّه إعداداً إنسانياً ناضجاً لممارسة الحياة بالطريقة التي يرسمها ، ويخطط أبعادها الاسلام ، لأن الحياة في نظر الاسلام : عمل ، وبناء ، وعطاء ، وتنافس في الخيرات : « **وَلِكُلٍّ وِجهة هو مُوَلِّيهٰا فاستبقُو الخَيْرَاتِ** » . (البقرة/ ١٤٨) .

فقد دأب الاسلام على جعل الحياة كلها مجالا مباحاً للانسان يمارس فيها نشاطه ، ويستثمر فيها طاقته وجهوده ـــ عدا ما حُرِّم عليه من أشياء ضارة ، أو ممارسات هدامة ـــ فالمسلم أينما توجه يجد المجال الرحب ، والمتسع الذي يستوعب كل جهوده وطاقاته ونشاطه ، دون أن يجد الزواجر السلبية ، أو يواجه النواهي التي تقتل قابلياته وطاقاته ، أو تشل وعيه وإرادته .

وبذا يبقىٰ طاقة حية ، وقوة بنَّاءة ، تساهم في تجسيد مضامين الخير ، وتشارك في العطاء والعمل .

وصدق أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب ـــ ع ـــ وهَو يصف هذه الشخصية بقوله : (**فَمِنْ علامِة أحَدِهم أنكَ ترىٰ لَهُ قُوةً في دِين ، وحَزْماً في لِين ، وإيماناً في يَقين ، وَحِرصاً في عِلْم ، وعلماً في حِلْم ، وقصداً في غِنىٰ وَخُشوعاً في عِبادة ، وَتَجَمُّلًا في فاقة ، وَصبْراً في شِدَّة ، وَطَلَباً في حَلال ، ونشاطاً في**

هُدىً ، وتَحَرُّجَاً عَن طَمَع . يعملُ الأعمالَ الصالحةَ وهو علىٰ وَجَل ، يُمسي وَهَمُّه الشُكْرُ ، ويُصبحُ وَهَمُّهُ الذِكْرُ ، يَبيتُ حذِراً ، ويُصبحُ فَرِحاً ، حذِراً لما حذِر منَ الغَفْلة ، وفَرِحاً بما أصابَ من الفضل والرحمة ، إن استصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب ، قرة عينه فيما لا يزول ، وزهادته فيما لا يبقىٰ ، يمزج الحلم بالعلم ، والقول بالعمل ، تراه قريباً أمله ، قليلًا زلله ، خاشعاً قلبه ، قانعةً نفسه ، مَنْزوراً أكله ، سهلًا أمره ، حريزاً دينه ، ميتةً شهوته ، مكظوماً غيظه . الخير منه مأمول ، والشر منه مأمون . إنْ كان في الغافلين كُتِبَ في الذاكرين ، وإنْ كان في الذاكرين لم يُكْتَبْ من الغافلين .

يعفو عمن ظلمه ، ويعطي من حرمه ، ويصل من قطعه ، بعيداً فحشه ، ليناً قوله ، غائباً منكره ، حاضراً معروفه ، مقبلًا خيره ، مدبراً شره ، في الزلازل وقور ، وفي المكاره صبور ، وفي الرخاء شكور ، لا يحيف علىٰ من يبغض ، ولا يأثم فيمن يحب .

يعترف بالحق قبل أنْ يشهد عليه ، لا يضيع ما استُحْفِظ ، ولا ينسىٰ ما ذُكِّر ، ولا يُنَابِز بالألقاب ، ولا يُضَارُّ بالجار ، ولا يَشْمَتُ بالمصائب ، ولا يَدْخل في الباطل ، ولا يَخرُجُ من الحق ، إنْ صَمَتَ لم يَغُمَّهُ صَمْتُه ، وإنْ ضَحِكَ لم يعلُ صَوتُه ، وإنْ بُغِيَ عليه صبر ، حتى يكونَ الله هو الذي ينتقم له .

نفسُه منه في عناء ، والناسُ منه في راحة ، أتْعَبَ نَفْسَه لآخرته ، وأراح الناسَ من نفسِهِ ، بُعْدُهُ عَمَّن تباعَدَ عنه زُهدٌ وَنزاهَة ، وَدُنُوُّهُ مِمَّن دنا منه لِين ورحمة ، ليس تَباعُدُهُ بِكِبْرٍ وعظمة ، ولا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخديعة »(١٦) .

---

(١٦) ــ نهج البلاغة : شرح محمد عبده/ ج ٢/ ص ١٦٣ ــ ١٦٤ .

٣ ــ الالتزام :

يبني الاسلام شخصية الانسان المسلم علىٰ أساس وحدة فكرية ، و سلوكية ، وعاطفية ، متماسكة ، بحيث تقوم هذه الشخصية علىٰ أساس من التنسيق والتوافق الفكري والعاطفي والسلوكي الملتزم ، الذي لا يعرف التناقض ولا الشذوذ لينسحب هذا الالتزام علىٰ كل مواقف الانسان وأنماط سلوكه ونشاطه ، الفردي والاجتماعي ، فالاديب المسلم ، والمفكر ، والفنان ، والمثقف ، والعالم .. الخ ، كل واحد منهم يخضع ممارساته ، ونشاطاته لقواعد الاسلام وقيمه ، ويساهم في بناء الحضارة الاسلامية بتوافق وانسجام تام مع الخط الحضاري الايماني العام ، تماما كما يفعل رجل المال والاقتصاد ، والعامل المنتج ، والسياسي القائد .. الخ ..

فكل واحد من هؤلاء يخضع سلوكه لمقاييس ، وقيم ، وموازين ثابتة لديه ، بحيث تأتي كلها وفق الخط الاسلامي الواضح ، تماماً كما ينسحب هذا الالتزام على السلوك والممارسة اليومية في العبادات والأخلاق والعلاقات الفردية المتعددة ... الخ .

وهكذا فإن الشخصية الاسلامية الملتزمة تفرز دوماً وحدة سلوكية وفكرية وعاطفية متماسكة متكاملة ، دونما ثغرة ، أو تناقض ، أو انحراف ..... بحيث تتكشف هذه الجهود الفردية ضمن إطار التنظيم الاجتماعي العام لإشادة الهيكل الحضاري ، وصنع صيغة التأريخ وصورة الحياة ، فالكل يعمل ، ويؤدي دوره ضمن خارطة بناء اجتماعي وعقائدي متكاملة متناسقة ، كما تنسق عاملات النحل جهودها لبناء خليتها وفق شكل هندسي وغائي متكامل .

٤ ـــ التوجه المستمر نحو الكمال :

للشخصية الاسلامية مثل أعلى ، وقيم عليا ، وقدوة رائدة في الحياة ، تتمثل في تصور الانسان المسلم لقيم الخير والكمال البشري الذي تحقق مجسداً ـــ في القدوة الفذة ـــ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم ـــ وأهل بيته البررة والطليعة الراشدة من أصحابه .

قال تعالى : « **لَقَدْ كانَ لَكُمْ في رسولِ الله أسوةٌ حسنةٌ لمَنْ كانَ يرجو الله واليومَ الآخرِ وذَكَرَ الله كثيراً** » .

(الأحزاب/٢١) .

فالشخصية الاسلامية تنزع دوماً الى الوصول الى هذا المثل الانساني الأعلى .. وتبرمج مسيرتها ، وتصحح مواقفها على ضوء هذا المقياس ، وهي تجد قبل هذا المثل الانساني الحي ، فكرة الكمال الالهي المتسامي ، وتعرف صفات الخالق العظيم ؛ المتصف بالخير والكمال المطلق ؛ من العدل والرحمة والصدق والكرم والحلم والعلم والشفقة والسلام ... الخ ، فتكون تلك الصفات محبوبة لدى الانسان المسلم ، لأنها صفات معبوده ، فهو دوماً يتجه نحوها ، وينزع إلى الاتصاف بما يلائم إنسانيته من معانيها ، أملًا في تحقيق مرضاة الله ، وسعياً وراء الكمال الذي يوصله إلى النعيم والفردوس .

٥ ـــ الاتزان :

ومن ميزات الشخصية الاسلامية أنّها شخصية متزنة لايطغى على موقفها الانفعال ، ولا يسيطر عليها التفكير المادي ، ولا الانحراف الفكري المتأتى من

سيولة العقل ، وامتداده اللامعقول ، كما لا يطغى جانب من الميول ، والنوازع على بقية قوى الانسان ودوافعه .

فالانسان المسلم يطلب الدنيا ، ويسعى للآخرة ، ويستمتع بلذات الحياة ، ويستعد لعالم الجزاء ، ويعمل ، ويفكر ، وينتج ؛ بحيث يملأ كل جوانب الحياة عطاءً ونشاطاً ، وهو حينما يمارس هذا النشاط الحياتي ؛ إنما يمارسه ضمن مفهوم روحي ، وتفكير إيجابي ، لايفصل بين الدنيا والآخرة ، بل يوحِّد بينهما ، ويربط بين أبعادهما ، كما يربط بين السبب ونتيجته ... مستلهماً تلك الروح من وحي القرآن وتوجيهه :

« وابتغ فيما آتاكَ الله الدارَ الآخرةَ ولا تنسَ نصيبك مِنَ الدُّنيا ، وأحسِنْ كما أحسنَ الله اليكَ ولا تَبْغِ الفسادَ في الأرضِ إنَّ الله لا يُحِبُّ المُفْسدينَ » . (القصص/٧٧) .

فهو دوماً شخصية متزنة ، يشبع كل جانب ، ويعطي كل شيء حقه ، لايفرط في شيء ، ولا يتعدى الحد المعقول في استعمال أي شيء ...

إذا أحبَّ أَحَبَّ معتدلًا ، واذا أبغض أو غضب ، أو عاقب كان معتدلًا ، وإذا أكل ، أو شرب ، أو زهد ، أو أنفق ، كان معتدلًا .

« وإنْ عاقَبْتُم فعاقِبوا بِمِثْلِ ما عُوقبتم به وَلَئنْ صَبَرْتُم لَهُوَ خيْرٌ للصابرينَ » (النحل/١٢٦) .

« والذينَ إذا أنفقوا لَمْ يُسْرفوا ولَمْ يقتروا وكانَ بينَ ذلكَ قواماً » .
(الفرقان/٦٧) .

« يا بَني آدم خُذُوا زينتكُمْ عندَ كلِّ مسجدٍ وكُلُوا واشربُوا ولا تُسْرِفوا إنَّه لا يحبُّ المسرفينَ »

(الاعراف/٣١) .

وما أروع قول الله الجامع لكل أبعاد هذه الحقيقة السلوكية الهامة ، وما أدق هذا القول وهو يوجه النبي العظيم (ص) الى مكارم الأخلاق ، ويضعه على وضوح من قانون الوجود المتوازن ليحقق بهذا الوضوح الانسجام الكامل مع الحقيقة الكونية الناطقة بعلم الله وحكمته :

« فاستَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ » ...

فالقرآن الكريم حينما يطالبُ النبي بالاستقامة ــ وهي الاعتدال ، والالتزام الوسط بين الافراط والتفريط ــ إنما يستهدف الربط بين منطق الوجود في عموميته وبين سلوك الانسان في الحياة « وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار » ..

(الرعد/٨) .

فلكل شيء في هذه الحياة قدر وقيمة محددة ، ولا تنتظم مسيرة الحياة الا بالتعامل معه حسب قدره وقيمته .

فالمسلم حينما يأكل ويشرب ، ويتزوج ، ويحب ، ويكره ، ويغضب ، ويعاقب ويتكلم ، ويتعب وينام ، وينفق ويتعبد ، ويزهد ويستمتع بالملذات ، ويتعامل مع الآخرين ... الخ ، إنما يمارس هذه الأفعال جميعا وفق منطق الاعتدال ، والاتزان الذي يسيطر على نظام الحياة ، ويتحكم بمسيرة الوجود ؛ من غير إسراف ، ولا إفراط ، أو تفريط ، انطلاقاً من الايمان بأن الاعتدال هو منطق الوجود ، وهو قانون الحياة التي انتظمت أبعادها ومسيرتها على أساسه ، وإنَّ الخروج على هذا القانون الكوني العام يعرض الشخصية إلى الاهتزاز

والاضطراب ، ويقود وجود الانسان بكامل أبعاده الجسمية والروحية ، والنفسية إلى الانهيار والشذوذ .

وقد سَجَّلَ لنا الامام علي ـــ ع ـــ في إحدى خطبه بعض مظاهر الاتزان في الشخصية الاسلامية في وصفه للمتقين فقال :

(فالمتقونَ فيها هُمْ أهلُ الفضائل ، منطقهم الصوابُ ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع) .

ثم قالَ :

(ومِنْ علامة أحدهم أنَّك ترى له قوة في دين ، وحزما في لين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً في علم ، وعلماً في حلم ، وقصداً في غنى ، وخشوعاً في عبادة ، وتجمُّلا في فاقة ، وصبراً في شدة ، وطلباً في حلال ، ونشاطاً في هدى ، وتحرجاً عن طمع) .

٦ ـــ الاحساس الانساني : « يقظة الضمير والحس الوجداني » .

تمتاز الشخصية الاسلامية بأنها شخصية تتمتع بحس إنساني يقظ ، وضمير متفتح ، يميل دوماً إلى التعاطف والرحمة ، وينفر من القسوة والشدة .

فالمسلم الملتزم سريع الاحساس ، والمشاركة الوجدانية ، رقيق القلب ، متفتح العاطفة ؛ لذلك فهو سريع التفاعل والتعاون في مجالات البر والاحسان إلى الآخرين ... يخف إلى إنقاذهم في شدائدهم ويهب إلى مواساتهم في محنهم ، ويشاطرهم في أفراحهم ... لايقسو ولايجفو ... مستوحياً هذه الروح

من موقف القرآن الكريم ... رافضاً أن يكونَ من اولئك القساة الجفاة الذين لا يُؤلفون ، ولا يَألفون أحداً ، ولا ترق قلوبهم ولا يحسون باحساس الآخرين ، ولا يشاركونهم في أفراحهم ولا يشاطرونهم أحزانهم .... أولئك الذين ماتت العواطف الانسانية النبيلة في نفوسهم ، وأجدبت من معاني الخير حياتهم :

« ثُمَّ قَسَتْ قلوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذلكَ فهي كالحجارةِ أو أشدُّ قسوةً ، وإنَّ من الحجارةِ لَمَا يتفجَّرُ منهُ الأنهارُ ، وإنَّ منها لَمَا يَشَّقَّقُ فيخرجُ مِنهُ الماءُ ، وإنَّ مِنها لَمَا يهبطُ مِنْ خشيةِ الله ، وما الله بغافلٍ عَمّا تعملونَ » .

(البقرة/٧٤) .

ويأتي اهتمام الاسلام بتربية الضمير ، وتنمية الحس الوجداني كنتيجة لايمانه بأنَّ الضمير الحي ، والحس الوجداني المرهف ؛ هو الطريق إلى التفاعل ، والترابط البشري السليم ، وهو القاعدة النفسية التي تشاد عليها أُسس العلائق ، والروابط الانسانية ..

وقد حثَّتْ الاحاديث ، والروايات المتعددة على ذلك وحببته وزينته بقدر ما كرَّهت القسوة ، والجفوة وغيبة الضمير ... فقد رُوي عن الرسول الأعظم ـــ ص ـــ قوله :

(يقولُ الله تعالى اطلبوا الفضلَ من الرحماء من عبادي ؛ تعيشوا في أكنافهم ، فإنّي جعلتُ فيهم رحمتي ، ولا تطلبوه من القاسية قلوبُهم ، فإنّي جعلتُ فيهم سَخطي)(١٧) .

---

(١٧) ـــ النراقي : جامع السعادات/جـ ١/ ص ٣٧٣ .

ولعل من أبرز مظاهر يقظة الضمير ، هو مظهر الاحساس بالذنب ، والشعور بالخطيئة ، ومحاسبة النفس عليها ، تمهيداً لرفضها ، والإنابة منها ، والتوبة من العودة إليها .

وتتجلّىٰ هذه الظاهرة بأسمى صورها في شخصية الانسان المسلم ؛ عندما تعيش بوعيه وإحساسه كأرق ماتكون صور الحس ، واليقظة الوجدانية .

فقد رُوي عن الامام الكاظم موسى بن جعفر الصادق ـــ ع ـــ أنه قال :

(ليس منّا مَنْ لم يحاسب نفسه في كل يوم ، فان عمل حسنة استزاد الله تعالىٰ ، وإنْ عمل سيئة استغفر الله منها وتاب إليه)(١٨) .

٧ ـــ النزوع القيادي :

يشعر الانسان المسلم دوماً أنّ على عاتقِه مسؤولية رسالية كبرىٰ ، ودوراً تاريخياً مهماً ، يجب عليه أن ينهض به ويؤديه . وهذا الدور هو إصلاح البشرية ، وهدايتها ، وقيادتها نحو شاطىء العدل والسلام ، فهو يؤمن دوماً بأنه داعية خير ، ورائد إصلاح ، ومتمم لمسيرة الأنبياء في تبليغ رسالة الايمان ، وإنقاذ البشرية .

لذا فهو لا يقنع من نفسه بإصلاح نفسه فقط ، ولا يقر اللجوء إلى الانكماش والعزلة والابتعاد عن أوضاع مجتمعه وعالمه ، ولا يرضىٰ بأن يكون مقوداً بغير قيادة الايمان ، ولا يعترف بتسليم قيادة البشرية لأيدي جاهلية لا

---

(١٨) ـــ المصدر السابق /جـ ٢ / ص ٩٢ .

تعرف معنىٰ الاصلاح ، ولا تفكر بالخير ، ولا يعنيها في أي هاوية سقطت البشرية .

وهذا النزوع القيادي يربّيه القرآن الكريم في نفس الانسان المسلم ، ويحثه عليه ، كما في قوله تعالىٰ :

« وكذلكَ جعلناكُمْ أُمّةً وسَطاً لتكونوا شُهداء على الناس ويكون الرسولُ عليكُمْ شَهيداً » (البقرة/١٤٣) .

« والذينَ يقولونَ ربَّنا هَبْ لَنا مِنْ أزواجنا وذرياتنا قُرَّةَ أعين واجعلنا للمُتقِينَ إماماً » . (الفرقان/٧٤)

فالقرآن هنا وفي الآية الأولى ، خاطب المسلمين ونبيهم بأنهم الشهداء على الناس يوم القيامة ، لأنهم هم الدعاة ، وهم المبلغون لرسالة الايمان ، وهم القادة الى الخير ، وفي الآية الثانية يسوق أهداف الانسان المؤمن القيادية بصيغة الدعاء فيقول **« واجعلنا للمتقين إماماً »** أي اجعلنا قادة للايمان والتقوى ، والخير والصلاح .

ويظهر هذا النزوع واضحاً في الدعاء الذي يردده المسلم بقصد التقرب إلى الله سبحانه :

(اللّهُمَّ إنّا نرغبُ إليكَ في دولةٍ كريمةٍ تُعِزُّ بها الاسلام وأهلهُ ، وتُذِلُّ بها النفاقَ وأهله ، وتجعلنا فيها من الدعاة إلى طاعتك ، والقادةِ إلى سبيلك ، وترزقنا فيها كرامةَ الدُّنيا والآخرة ...)[١٩] .

---

(١٩) ــ دعاء الافتتاح ، عن كتاب مفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي .

السلوك والشخصية

يُعتبر السلوك المظهر المجسِّد لمحتوى الشخصية ، واللسان المعبِّر عن هويتها وحقيقتها .

السلوك ليس عنصراً من عناصر الشخصية ، بل هو الوجه الخارجي للشخصية ، والانعكاس الطبيعي والظل العملي لها .

وتتميز الشخصية الاسلامية بسلوكية إنسانية معينة ، تختلف كل الاختلاف عن سلوكية الشخصية غير الاسلامية ــ لأنها تختلف عنها في الدوافع والمحفزات وفي الغايات والأهداف ــ .

فينتج عن هذا الاختلاف ؛ إختلاف في طبيعة السلوك ، ونوعية المواقف والممارسات ... لذا فاننا نشاهد التباين واضحاً بين سلوك المسلم الملتزم ، وبين غيره من الشخصيات الاخرى في موقفه من قضية معينة ، أو تقويمه لها .

فالعامل المسلم ، أو رجل الأعمال المسلم الملتزم مثلًا ، حينما يمارس عمله يخلص فيه ، وينميه على أكمل وجه ، من حيث الدقة ، والاتقان .

وهو يفعل ذلك لأنَّهُ يؤمن بأنَّ الاخلاص في العمل واجب مقدس ، ووجوبه متأت من كونه خيراً يحبه الله سبحانه ، فهو يحققه حباً بالخير ، وبحثاً عن رضى الله سبحانه ، وإداءً لواجبه أمام خالقه ، بعكس الشخصية غير الاسلامية ، فان صاحبها لا يهمه الاخلاص في العمل كقضية أخلاقية واجبة بذاتها ، بل هو يحافظ عليها إذا دعته الضرورة من أجل التفوق والمنافسة ، وجلب الزبائن ، أو تحقيق ربح مادي أكبر ، ولو أمن الخطر على بضاعته وإنتاجه لما ألزم نفسه بالاتقان والاخلاص .

والسياسي المسلم الملتزم حينما يقف أمام قضية سياسية ويجد نفسه قادراً على كسب الموقف فيها عن طريق الغدر أو الخديعة ، وتوريط الآخرين فانه لايقدم على ذلك رغم هذه القدرة ، ورغم قدرته على تحقيق ماكان يصبو إليه .. بل يترفع ، ويتورع ؛ بعكس السياسي الآخر ، فانه يعتبر هذا الأسلوب حنكة ، ودهاء ، وعبقرية سياسية ، وفرصة سانحة لتحقيق أهدافه ...

وهكذا ــ والأمثلة كثيرة ــ يتضح لنا مدى الترابط بين الشخصية والسلوك واضحاً جلياً في كل موقف ، وممارسة إنسانية .

وهكذا أيضاً يتضح لنا أنّ الشخصية بكافة عناصرها ، وتعدد مقوماتها هي اليد التي ترسم على لوحة الواقع صيغة السلوك .

وهي الشاخص الذي تظهر صورته سلوكاً على مرآة الحياة .

وهكذا نفهم أن السلوك هو الصياغة والتشكيل الخارجي لمحتوى الشخصية ومضمونها الباطن .

فهذه هي أبرز ميزات الشخصية الاسلامية وددنا أن نستعرضها بشيء من الايضاح ، لتكتمل صورة الشخصية الاسلامية في ذهن الفرد المسلم فتساهم في تكوين رؤية فكرية ، وتوعية رسالية موجهة ، ليتمكن من التعامل بوضوح ووعي مع الحياة .

« إنّ في ذلك لذكرى لمنْ كانَ لهُ قلبٌ
أو ألقى السمعَ وهو شهيدٌ »

(والحمد لله رب العالمين)

الموضـــوع الصفحة

هدية من القائمة الاسلامية

جامعة الكويت

